

قضايا التّداوليّة الحديثة ودورها في تفعيل الخطاب السّياسي

- كتاب التّداوليّة واستراتيجية التّواصل: ذهبيّة حمّو الحاج أنموذجاً- مقارنة تحليليّة -

فلة شوط

fella.chott@univ-alger2.dz

جامعة الجزائر 02

الملخص:

تعدّ التّداوليّة من المناهج النّقديّة الحديثة التي أمتّ باللّغة والأفعال الكلاميّة وتحليل الخطاب، حيث أنّها اهتمت بمجمل التّفاصيل والقضايا التي غفلت عنها باقي المناهج النّقديّة. الأمر الذي جعل منها سلّة مهمّات تُلقِي اهتماماً بكلّ ما هو مرفوض من الغير (المناهج). فالتّداوليّة منهج قائم بذاته ومستقلّ ووطيد الصّلة بالبحث اللّسانيّ والسّيميائيّ (منطلقات بورس في سيمياء التّأويل)، كان لمُحاضرات وجهود أوستن وسورل الدّور الفعّال لتأريخ ثورة منهجيّة جديدة تفوق البحث اللّسانيّ.

يتّضح لنا من خلال بحثنا في الدّرس التّداوليّ أنّه أغفل اهتمامه بالخطاب السّياسيّ وبكيفية التّواصل مع الآخرين، وعليه تبين لنا من الضّروريّ إلقاء الاهتمام بهذا الخطاب دون غيره للإجراء الفعليّ الذي تقرّ به التّداوليّة وتعرّزه ظاهرتي التّصريح والتّلميح.

ومن خلال هذه العلائقية اللّغويّة وغير اللّغويّة للفعل التّداوليّ رأينا بأهميّة الإقبال على كتاب (التّداوليّة واستراتيجية التّواصل) للنّاقدة الجزائريّة ذهبيّة حمّو الحاج، التي اهتمت بالخطاب السّياسيّ وأعقبته بالدراسة اللّسانية والتّفاعل والتّواصل كفعلٍ خطابيّ مؤكّد وإلزاميّ، تستدعيه أبعاد التّلفظ التّخاطبي في العمليّة التّواصلية.

الكلمات المفتاحيّة:

التّداوليّة، الخطاب السّياسي، الأفعال الكلاميّة، التّواصل.

**Modern deliberative pragmatics issues and their role in activating political
discourse: The deliberative and communication strategy book: Dahbia Hamo El**

Haj as a model

An analytical approach

Abstract:

Deliberative is considered one of the modern critical approaches that dealt with language, verbal verbs and discourse analysis, as it was concerned with all the details and issues that the rest of the critical curricula overlooked. This made it a trash bin that takes care of everything that is rejected by others (the curricula) . The pragmatism is a stand-alone, independent, and closely related approach to linguistic and semiotic research (Pearce starting points in the theology of hermeneutics). The lectures and efforts of Austen and Searl played an active role in the history of a new methodological revolution that surpassed linguistic research.

It is clear to us through our research in the deliberative lesson that he has neglected his interest in political discourse and how to communicate with others, and therefore it became evident to us that it is necessary to pay attention to this speech without others in order to the actual procedure that deliberativism acknowledges and reinforces the phenomena of declaring and hinting. Through this linguistic and non-linguistic relationship to the deliberative act, we saw the importance of the appetite for the book (Deliberative and communication strategy) by the Algerian critic Dhahbia Hamo El Haj, who took an interest in political discourse and followed it with linguistic study, interaction and communication as a definite and obligatory rhetorical act called for by the dimensions of conversational articulation in the communicative process.

Key words:

Deliberative, political rhetoric, verbal verbs, communicate.

تمهيد:

غَدَت الأبحاث والدراسات في وقتنا الحالي مفتوحة الآفاق على جلّ القضايا التّداوليّة التي سمحت لمختلف الميادين والمجالات والتّخصصات كالنّقد الأدبيّ والسّيميائيّة وتحليل الخطاب والبلاغة، وكذا اللّسانيات كجوهرٍ أساسيٍّ وأنموذجٍ هادفٍ يفعّل مُدركات التّواصل في الخطّاب السّياسيِّ بمرجعياتها المعرفيّة المختلفة الوافرة. لذا رأينا بأهمية دراسة وتحليل كتاب التّداوليّة واستراتيجية التّواصل: ذهبيّة حمّو الحاج¹، ودوره المساعد في تعزيز مكانة المنهج التّداوليّ وبيان قضاياها الحديثة التي تتطوّر وتتجدّد مع مرور الزّمن وتقدّم الدّراسات الغربيّة والعربيّة على حدّ سواء، حيث تدفع البحوث العربيّة التّقليديّة خصوصاً إلى التّأكيد على ماهية هذا الفعل اللّغوي (الكلامي-اللّساني) ومصنّفات وكتب اللّغويّين خير دليل على هذا التّبشير المبكّر إنّ صحّ التعبير.

1/ المرجعية الاصطلاحية للتّداوليّة:

للتّداوليّة مفاهيم متعدّدة ومتنوّعة أسهمت في تشكيلها جملة من المؤثّرات المعرفيّة والفلسفيّة التي ينبغي استحضارها في أيّ مقامٍ لسانیّ بأيّ شكل من الأشكال. وهذا الانفتاح المعرفي جعل لفظ التّداول متأخراً نوعاً ما في معاجم اللّسانيات الغربيّة، الأمر الذي جعل شارل موريس يخصّ دراسة السّيميوزيس أو سيرورة التّدليل بثلاث مستويات لا غير متمثّلة في: التّركيب والدّلالة والتّداوليّة. وهذا لا يثني جهود وأبحاث كلّ من أوستين² وغرايس³ اللّذين فتحا المجال أمام فلسفة اللّغة لتكون مجالاً معرفياً خصّصاً للعديد من الأبحاث كذلك.

يتّضح لنا أنّ للتّداوليّة عناية فائقة بوصف " العلاقات القائمة بين المرسل والمرسل إليه في إطار عملية التّواصل، كما تُعنى بالحدث اللّغويّ بوصفه تعابير مدرجة في عملية التّخاطب، وكلّ هذا

¹ - ذهبيّة حمّو الحاج: ناقدة جزائريّة وأستاذة جامعيّة بتيّزي وزو (الجزائر)، لها العديد من المنشورات في مختلف المجالات الدّوليّة منها: مقال من اللّسانيات إلى اللّسانيات التّداوليّة في كتاب التّداوليات وتحليل الخطاب، مقال مدخل إلى التّداوليّة المعرفيّة، مقال التّداوليّة وقصدية النّص: في المفاهيم والحدود... وكتاب في قضايا الخطاب والتّداوليّة.

² - أوستين John Langshaw Austin (1911-1960): فيلسوف بريطاني، مؤسّس نظرية أفعال الكلام. "Theorie of spechs acts" « ضمن كتابه الشّهير : How to do things with words.

³ - غرايس Paul Grice (1913-1988)، فيلسوف ولغوي بريطاني وأستاذ جامعي في جامعة كاليفورنيا، بركلي، أوكسفورد، أثّرت كتب غرايس عن طبيعة المعنى على دراسة علم المعاني من المنظور الفلسفي. تعدّ نظريته حول الاستلزام من أهمّ الإبداعات والإنجازات في علم التّداوليات.

يفرض مسبقاً وجود الأبعاد التركيبية والدلالية للعملية السيميائية، فالأهم في عملية الاتصال هو الشكل الذي يقوم المرسل من خلاله بإفهام المرسل إليه ما يريد إيصاله إليه باللجوء إلى سلاسل من العلامات"⁴. فأغلب هذه العلاقات التواصلية تسعى لمناهضة ومساءلة الخطاب بأنواعه في ارتباطه بثنائية المرسل والمرسل إليه وتلاقحها مع هذه الرسالة التي يمكن أن تتفاوت من مخاطب لآخر، بمعنى أن طريقة إيصال الرسالة وفك شفراتها وتبيان العلامات التي بنى عليها المخاطب حوار حجتّه.

كما تذهب كل من آن روبول وجاك موشلار أنه بإمكان التداولية أن "تُعرف بصفة عامة على أنها دراسة استعمال اللغة، في مقابل دراسة النسق اللغوي الذي يدخل بصيغة صريحة في اختصاصات اللسانيات. وعندما نتحدث عن استعمال اللغة، فإنّ هذا الاستعمال ليس محايداً. فالإشارات على سبيل الذكر لا يمكن أن تؤوّل إلا داخل سياقها التلفظي، كما أنّ الكلمات تدلّ في مناسبات كثيرة على معانٍ تفوق ما ننوي التعبير عنه"⁵. وهذا ما يعزّز قيمة اللغة في المعاملات التداولية التي تفتح التداول حول الكلمة الواحدة باعتبارها متعدّدة المدلولات ووفرة التعبيرات، لأنّ كلّ تعبير مسؤول عنه صاحبه وبالتالي لا يمكن له أن يخصّص الاستعمال اللغوي للكلمة لدى كلّ فرد على حدة. أي أنّ نسقية اللغة مطلب أساسي تنادي به اللسانيات وينبغي العمل عليه والحرص على تطويره.

من خلال هذه الوجهة اللسانية، أولت التداولية الأهمية لثلاث علاقات متمثلة في: "علاقة العلامات بغيرها من العلامات، وبما تمثّل، وبمستعملها. فالكلام المتبادل بين طرفي عملية التواصل، بوصفه عملاً ونشاطاً وتطبيقاً من أجل تحقيق أهداف وغايات ومقاصد، هو قطب الرّحى في الدّراسات التداولية وعمودها الفقري"⁶. أي أنّ لهذه العلامات أثرها في المتلقّي وكلّما اتّسعت حلقة التواصل وعبرت عن مقاصدها، أيقنت العملية التواصلية فيما بين الطرفين (المرسل والمرسل إليه) إنتاجاً.

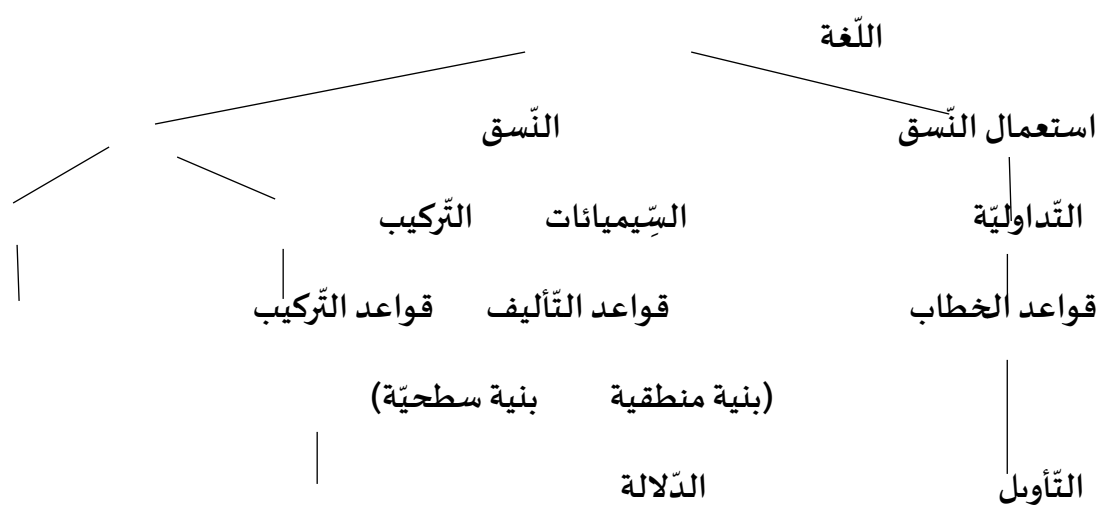
نوقن أنّنا بحاجة ماسّة إلى الدّراسات التداولية التي لقيت إقبال العديد من النّقاد والدّارسين، بالرّغم من أنّها ظهرت في وقت متأخّر خصوصاً في مجال التواصل اللّسانيّ الذي نعى وتطوّر بفضل هذه الأبحاث. بالإضافة إلى الدّراسات السّيميائية التي تعزّزت وتوسّعت متزامنة مع ظهور المنهج التداولي.

⁴ - ليلي كادة، محاضرات في التداوليات (دراسة في الأصول والأقسام والمحاور والإشكالات النظرية والتطبيقية)، ط1، دار المثقّف، باتنة الجزائر، 2018، ص 68.

⁵ - جواد ختام، التداولية أصولها وإتجاهاتها، ط1، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، 2016، ص 16.

⁶ - ليلي كادة، محاضرات في التداوليات (دراسة في الأصول والأقسام والمحاور والإشكالات النظرية والتطبيقية)، مرجع سابق، ص 68.

للنسق التداوليّ مقصد لسانيّ متعدّد الدلالات، وهذا ما أوضحته آن روبول وجاك موشلر في علاقة دراسة النسق واستعماله من خلال الخطاطة التالية:⁷



نلاحظ أنّ اللغة في شقّها تُولي الأهميّة للنسق وطريقة استعماله أي العمل بهذا النسق يكشف عن علائقيّة التداوليّة بالخطاب المتأثر في إيصال الرّسالة بعدد من التّأويلات المُحدّثة لهذا الفعل اللّغويّ الدّلاليّ.

فالتّداوليّة " مذهب لسانيّ يدرس علاقة النّشاط اللّغويّ بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللّغويّة بنجاح، والسّياقات والطّبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة، والبحث في أسباب

⁷ - جواد ختام، التّداوليّة أصولها واتّجاهاتها، مرجع سابق، ص 16.

الفشل في التّواصل باللّغات الطّبيعيّة"⁸. من هذا التّوضيح يترسّخ في ذهننا أنّ الخطاب والبحث في فعل التّواصل مبلغ أساسي في التّداوليّة، نسعى استحضاره في الخطاب السّياسي لدى الباحثة ذهبيّة حمّو الحاج.

• روافد التّداوليّة:

ينبغي في كلّ علم العودة للجذور الأولى، وهذا حال التّداوليّة مثل كلّ العلوم والمناهج النّقديّة ذات الخلفيّة اللّسانيّة التي تفرض علينا باستمرار استحضار الأصل، أي أن هذه التّداوليّة لا تتحدّد مع شارل موريس فقط بل لها آثار أسبق نوضّحها في تحليلنا.

1/ الفلسفة التّحليليّة:

اهتمّت الفلسفة التّحليليّة باللّغة منذ البدء بعديّها هدفاً ومطلباً ضرورياً تقوم عليه، حيث اتّخذت لنفسها " مهمّة واضحة منذ تأسيسها على أساس علمي فادارت ظهرها منذئذ للمنهج الذي اتّبعته الفلسفة الكلاسيكيّة (الميتافيزيقيّة والطّبيعيّة)، ويتمثّل هذا الأساس العلمي في اللّغة. ومن هنا راحت تُبدئ وتعيد في الإلحاح على أنّ أولى مهام الفلسفة هي البحث في اللغة وتوضيحها، وقد اعتبر فلاسفة التّحليل هذا المبدأ المنهجي علامة قوّة منهجهم وحقانيته"⁹. نلاحظ أنّ فلاسفة اللّغة يمتحنون اللّغة حقّها في البحث والدّراسة لأنّها علامة راسخة تفتح لهم المجال لإثراء فلسفتهم والتّعريف بها.

تهتمّ الفلسفة التّحليليّة في المقام الأوّل " بتحليل المعنى، فقد ميّز (فريجه) بين مقولتين لغويتين تختلفان مفهوماً أو وظيفة وهما: اسم العلم والمحمول، وهما عمادا القضية الحملية، كما رفض (فريجه)¹⁰ الخلط بين القضايا الكلية والقضايا الجزئية، فالقضايا الكلية تعبر عن علاقة دالية بين

⁸ - مسعود صحراوي، التّداوليّة عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللّساني العربي)، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2005، ص 05.

⁹ - مسعود صحراوي، التّداوليّة عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص 20.

¹⁰ - فريجه: Gottlob Frege، 1848-1925: فيسولف ألماني وعالم منطق ورياضيات، وهو أحد مؤسسي المنطق الحديث.

مفهومين، يكون فيهما المفهوم التابع أدنى مرتبة من المفهوم المتبوع"¹¹. وهنا نعود إلى مقولة ديكرت: "أنا أفكر إذن أنا موجود" كنموذج تأويلي بين الدلالة والإحالة.

ومن رواد فلسفة اللغة لدينا: برتراند رسل، جورج مور، لودفيج فيتغنشتاين، أمّا الأب الروحي لهذا الاتجاه فهو فريجه.

مميّزات فلسفة اللغة:

تُعرف فلسفة اللغة بجملة من الخصائص التي تميّزها عن غيرها من المدارس الفلسفية الأخرى، من بينها "أولاً: فكرة مركزية اللغة بالنسبة للفلسفة، إذ يعتقد الفلاسفة التحليليون أنّ قضايا الفلسفة يمكن فهمها فهماً جيّداً عن طريق العناية باللغة، وهذا الاتجاه نحو الاهتمام باللغة أصبح يسمّى في العرف الفلسفيّ التحوّل اللغويّ Linguistic turn، وهو أصدق ما توصف به الفلسفة التحليلية. ثانياً: الاعتماد على المنهج التحليليّ سواء اتّخذ هذا المنهج صورة التحليل المنطقي أو التحليل اللغوي. ثالثاً: احترام نتائج العلم والحقائق التي يسلم بها الحسّ المشترك، وأخذها بعين الاعتبار عند معالجة المشكلات الفلسفية"¹². ومثلما أشرنا سابقاً أنّ اللغة معطى أساسياً حتّى أصبح للمنهج الفلسفيّ تحليلاً لغوياً خالصاً.

2/ السيميائيات والذرائعية:

ارتكزت السيميائية في انطلاقاتها على العالمين: الأول العالم اللغويّ السويسري فرديناند دي سوسير المبتشّر بعلم السيميولوجيا في فرنسا، والثاني الفيلسوف المنطقي الأمريكي شارل ساندرس بورس المنادي بعلم السيميوطيقا. لكلّ منهما تصوّره اللغويّ اللسانيّ والنقديّ لأنّهما اهتمّا بالعلامة منذ البدء وطوّرا أبحاثهما بالرغم من عدم تعارفهما، أمّا الجهود والدراسات التي قاموا بها كان ولا يزال لها فعلها القويّ في مجال الفكر النقديّ الحديث والمعاصر معاً. فسوسير درس اعتبارية اللغة في علاقتها الثنائية بالدال والمدلول أي أحقية الصورة السمعية والتصوّر الذهنيّ. أمّا بورس جعل العلامة اللغوية ثلاثية حيث أنّه

¹¹ - ليلي كادة، محاضرات في التداوليات (دراسة في الأصول والأقسام والمحاور والإشكالات النظرية والتطبيقية)، مرجع سابق، ص 16.

¹² - صلاح إسماعيل، فلسفة العقل (دراسة في فلسفة جون سيرل)، د.ط، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، 2007، ص 40.

أضاف المرجع لكل من الدال والمدلول، واعتبر العلامة إنساناً في حد ذاته يستدعي وجود المنطق الذي يعني بالضرورة وجود ما يسمى بالسيميوطيقا.

3/ العلوم المعرفية:

استمدت التداولية فور انفتاحها مقوماتها من العلوم المعرفية خاصة علم النفس المعرفي وفلسفة الذكاء الاصطناعي وعلوم الأعصاب. وعليه تؤكد أن روبول وجاك موشلر أن تاريخ العلوم المعرفية يذهب إلى مطابقة تاريخ التداولية. " فلقد ألقى أوستن محاضراته (محاضرات وليام جيمس) سنة 1955، وفي عام 1956 صدرت بعض المقالات المهمة التي شكلت انطلاقة العلوم المعرفية. وفي 11 سبتمبر/ أيلول 1956، وبمناسبة ندوة التأمّت في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا MIT قدم ألان نيوال وهيربرت سيمون مداخلة تضمّنت أول إثبات آلي لمبرهنة رياضية. واقترح نعوم شومسكي مقارنة توليدية للمسائل اللغوية، كما تقدّم جورج ميلر بنتائج تجاربه (غير السلوكية) حول الذاكرة¹³. وهذا دليل قاطع على غنى التداولية وكذا تواجدها في حقل العلوم المعرفية أكسبها قدرة على مواكبة التجارب الإنسانية عموماً.

قضايا التداولية في بيان الخطاب السياسي المتمثل في كتاب التداولية واستراتيجية التواصل:

نتفق على ضرورة توظيف اللغة في التداولية بل يجب المصادقة عليها لأنها لب الدراسات اللغوية اللسانية، حيث لا تتحقّق التجربة الوجودية دون تفعيل اللغة في علاقتها بالتواصل وتبليغ الرسالة. وعلى إثره نجد أن الباحثة ذهبية حمّو الحاج تولى قضية استراتيجية التواصل الأهمية القصوى، خاصة أنها سعت لتوظيف هذا الخطاب السياسي وتسلط الضوء عليه كيفما اتفق من خلال الدراسة والتعقيب والمعالجة، وحاولت فتح المجال أمام هذا الخطاب بمعطيات جديدة تعرضها التداولية كنوع من الخلق بعيداً عن المناهج النقدية (البنوية، الأسلوبية، السيميائية..) المتعارف عليها والتي استهلكت مختلف

¹³ – أن روبول وجاك موشلر، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد شيباني، ط1،

المنظمة العربية للترجمة، نشر دار الطليعة، بيروت، 2003، ص 51.

الخطابات وليس الأدبية فقط، وهذه هي ميزة وجوده جلّ المناهج كونها تفتح السبل لاستنطاق الخطاب مهما كان نوعه لأكثر من مرّة بحلّة لغويّة مغايرة.

تشير الباحثة إلى تطبيق المنهج التداولي في مقدّمة الكتاب، الأمر الذي يوضّح " البعد الاستعمالي للغة، حيث يوظّف التّصريح لغايات، والتّضمنين لغايات أخرى خاضعة لبعض الأهداف والمصالح، إنّ الرّجل السّياسي يحاول بما أوتي من بلاغة ومعرفة التّصرّف لغويّاً للوصول إلى التّأثير في المتلقّي وكسب ثقته ومساندته، وربّما جعله يتصرّف بطريقة ما"¹⁴. أي أنّ كسب المتلقّي والتّأثير فيه بأيّ طريقة كانت هي هدف المخاطب بالدّرجة الأولى خاصّة إنّ كانت المقصدية سياسيّة بحتة. وهنا نعود مجدّداً إلى قضايا التّداوليّة من القصديّة والاستلزام الحوارية ومقتضيات القول .. التي تؤكّد مبدأ الفعل الكلامي ونسبة تأثيره في ذاك المخاطب وكذا رسوخ الرّسالة في الذّهن بفعل عملية التّواصل.

تتضمّن مدوّنتنا مقدّمة وتقديم، وباين وخاتمة وقائمة الملاحق، حيث يحتوي الباب الأوّل: التّصريح والتّلميح في الإجراء الخطابيّ والتّداوليّ على ثلاثة فصول، الفصل الأوّل: التّواصل والخطاب، الفصل الثّاني: تطوّر اللّسانيّات التّداوليّة، الفصل الثّالث: إشكالية التّصريح والتّلميح. والباب الثّاني: التّضمنين استراتيجيّة خطابيّة، يحوي ثلاثة فصول، الأوّل: أبعاد التّلفّظ التّخاطبي، الثّاني: الحوار والتّفاعل في الخطاب السّياسي، ويتفرّع كذلك إلى ثلاثة خطابات: خطاب المحاجة والإقناع، خطاب التّضمنين في العلاقة التّفاعليّة، وخطاب التّضمنين والبعد الحوارية. أمّا الفصل الثّالث موسوم ب: السرد والمجاز في الخطاب السّياسي الصّحفيّ. بالإضافة إلى خاتمة تضمّ خلاصة عامّة، وجزء الملاحق الذي ينقسم بدوره إلى رسائل وخطب، مقالات صحفية، ثبت المصطلحات، قائمة المصادر والمراجع. يعدّ الكتاب من الحجم الكبير، يتكوّن من 599 صفحة بالخطّ الصّغير، ممّا يعني أنّ جهد مضمّن يختصر تجربة علميّة حقّة ويعرّف بالخطاب السّياسي الذي يُدرس للمرّة الأولى أكاديميّاً – حسب رأيي شخصي- وفق المنهج التّداولي والخاصية اللّغويّة ضمن أفضلية الخطاب غير المباشر على الخطاب المباشر، وهذا ما يبرّره كلّ من التّضمنين والاقْتباس والإقناع وأفعال الكلام.

تقول الباحثة –تأكيداً لما سبق- " إنّ تحليل الخطاب السّياسي بالمنظور التّداوليّ بات شبه منعدم في جامعاتنا، إنّ وجدت بعض المحاولات، فهي أقرب إلى التّحليل السّياسي (المضمون) من تحليل Pragmatique du discours الخطاب ذاته، ولذلك أثّرنا الاعتماد على مراجع أجنبيّة أهمّها:

¹⁴ – ذهبية حمو الحاج، التّداوليّة واستراتيجيّة التّواصل، ط1، رؤية للنشر والتّوزيع، القاهرة، 2015، ص 11.

politique: Alain Trognon et Janine Larrue, Elements de semio-linguistique, Langage et discours : Patrick Charaudeau, L'analyse textuelle : J.F. Jeaundillou." ¹⁵

يتطلب منا التحليل الدقة والموضوعية في سبر أغوار هذه المدونة التي تجعل من الخطاب السياسي الصحفي خطاباً حجاجياً قبل أن يكون خطاباً إخبارياً. فالخطاب " ما هو إلا مصطلح جديد يعوّض مصطلح الجملة لما يحيط به من معطيات، بينما تجعلنا التداولية ندخل عالم الخطاب السياسي بمنظور جديد، واختيار التصريح والتلميح إشكالية تجعلنا نفكر في المدى الذي وصلت إليه اللغة السياسية في معالجة قضايا المجتمع" ¹⁶. ليس سهلاً أن تقنع الآخر المقابل لك والذي ربما لديه الأمل في المخاطب حيث يمكن أن يحمل في نفسه حلولاً لمشكلاته، ولذا كيفية وصول مبلغ هذا الخطاب السياسي إلى نفس المتلقي وإيقاظ مواطن الجدة فيه أمراً صعباً للغاية، والتمكّن والموظّف لمواطن هذا الخطاب تلزمه أدوات التداولية التي تثرى لغته السياسية وتؤسّسها.

يتماشى الخطاب عموماً ووتيرة المجتمع وما هو إلا استنطاق للرموز الايديولوجية والاجتماعية والثقافية. " فإذا كان الخطاب السياسي في الجزائر ينطلق من مبدأ تحفيز الشعب لأخذ حقوقه، وحثه على النضال من أجل رفع راية الحرية والعيش في وطنه معزّزاً، مكرّماً، محتكماً إلى معالم الدين الإسلامي الحنيف، فإنه اتخذ في الآونة الأخيرة منطلقاً يخدم القضايا المطروحة من إرهاب وإصلاحات في هيئات الدولة، والنظر إلى قضية المرأة التي لا ينفصل مصيرها عن الصراعات السياسية، في محاولة إيجاد الحلول" ¹⁷. ومن هنا نجد أن هذا الخطاب في حالة تجديد وتغيير مستمرين، أي أن معاصرة المواضيع المطروحة من التاريخ الجزائري المجيد إلى ثورة العقلية والإرهاب والدفاع عن حقوق المرأة، كلّ يصبّ في بوتقة اللغة ومدى تأثيره في أطراف الرسالة مكتوبة أم شفوية.

نلاحظ أن الخطابات السياسية متنوعة في المدونة من خطاب سياسي تحاوري إلى خطاب سياسي مروي، بمعنى أن تجاذبها نحو الذوق الفني قد يسهم في إنتاج وتقديم قضايا سياسية واجتماعية واقتصادية. مثلما ذكرنا سالفاً الخطابات متعدّدة منها: الخطاب المباشر الذي يتخذ صيغة الاستشهاد الصريح كلّ ملامح الموضوعية، أي ايتاح الكلمة لأطراف أخرى تعبر عن رأيها. والخطاب غير المباشر والخطاب المروي والخطاب غير المباشر الحر..

¹⁵ - ذهبية حمو الحاج، التداولية واستراتيجية التواصل، مصدر سابق، ص 12.

¹⁶ - ذهبية حمو الحاج، التداولية واستراتيجية التواصل، مصدر سابق، ص 16.

¹⁷ - المصدر نفسه، ص 18-19.

تتأسس العملية التّخاطبيّة الحوارية بين طرفين اثنين يتّفقان لمعالجة قضايا تهمّ المجتمع وتُصلح من شأنه، " أي القضايا المرتبطة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بالحياة السّياسيّة، ويمكن اعتبار الحوار السّياسيّ عقدا تواصليّا من نوع خاص"¹⁸. يتيح فرصا لإضاءة القضايا المسكوت عنها مثل الدّفاع عن حقوق المرأة في المجتمع العربي عموما والمجتمع الجزائريّ خصوصا، وهذا ما تحاول الباحثة استدراكه في طرحها المثمر للفكرة.

كما نفهم من أنّ تساؤل الطّرف الأوّل في الحوار السّياسيّ قد تثمره أجوبة الطّرف الثّاني أو تدخّضه حسب جدّية النّقاش، ومن أمثلة ذلك: " الشّعب: دار نقاش حدّ حول إصلاح المنظومة التّربويّة، وتركّز على مسألتين أساسيتين: ديمقراطية التّعليم ولغة التّعليم، فهل تابعت النّقاش وما هو رأيكم؟ / عبد السّلام بلعيد: أنا من أنصار ديمقراطية التّعليم ... ولكنّ ديمقراطيّة التّعليم لا يمكن فصلها عن قضايا المجتمع الأخرى، ولا يمكن تحقيقها دون ديمقراطية اجتماعيّة حقيقيّة"¹⁹. بمعنى أنّ هناك تكافؤ في المنظومة التّربوية التّعليميّة بما أنّه توجد ديمقراطية الفرص بين الفقير والغنيّ وأمثلة ذلك كثيرة.

يؤدّي كلّ من التّضمين والإضمار في الخطاب الصّحفيّ السّياسيّ فعلة للأهميّة التي يعرضان لها، فلا يمكن تصوّره " خطابا خاليا من النّاحية الإضماريّة، إنّ الإضمار هو الذي يشكّل جماليّته، ويضمن استمراريّته باعتباره خطابا، وتفيد الضّمنيّة التّخفي وراء الأقوال المصحّح بها، فيمكن وصف القول المضمر في هذا الإطار بالتّأويل، إذ يجسّد المعطيات التي يقدّمها الكلام، وهي معطيات نصل إليها بعد معرفة السّياق الذي وردت فيه"²⁰. فالتّأويل في الخطاب السّياسيّ ذا مسعى تداولي، يُحسن تفعيل الفكرة وتلميع العبارة حسب سياقاتها المختلفة، لأنّ قوّة الإضمار والتّضمين في الجملة يعطيها حقّها من المروغة في الإقناع والتّلاعب بالمعاني والمفاهيم كذلك. وفي أغلب الأحيان نجد المخاطب ممترس لهذه التّقنيات اللّغويّة، فلغته في الأصل سياسيّة هادفة، تسعى لإيصال المعلومة بطرق مختلفة وأساليب متجدّدة حتّى يشعر المتلقّي بثقة المخاطب في نفسه أوّلا والمخاطب دائما.

¹⁸ - ذهبية حمو الحاج، مصدر سابق، ص 384.

¹⁹ - المصدر نفسه، ص 385.

²⁰ - المصدر نفسه، ص 483.

وفي الأخير، نستطيع القول أنّ كتاب التّداوليّة واستراتيجيّة التّواصل مدوّنة نقدية لسانية، تفكّك أبجديات المنهج التّداوليّ بروح لغويّة لسانية صرفه تجمع بين النّقد والسّيميائية في شقّها الواسع، لأنّ مقارنة الخطاب السّياسي الصّحفيّ خاصية تقتضي كلّ هذا الاهتمام والمراعاة من قبل الباحثة ومجمل الدّارسين. كما أنّ نعلم أنّ لفت الانتباه لهذا الخطاب السّياسي المهمل أعطاه حقّه وعرف به القارئ المتخصّص، فكلّ خطاب له خصوصياته غير أنّ للسياسة الخصوصية ومبدأ العدل في حكم قضايا المجتمع التي يمكن إثارتها في مواقف عدّة توجي بإهمال الكثير من المسؤولين والمخاطبين لهذا النوع الجادّ من الخطابات السّياسية.

قائمة المصادر والمراجع:

1/ المصادر:

- 1- ذهبية حمو الحاج، التّداوليّة واستراتيجيّة التّواصل، ط1، رؤية للنّشر والتّوزيع، القاهرة، 2015.

2/ المراجع:

• الكتب باللغة العربية:

- 1/ جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ط1، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، 2016.
- 2/ ليلي كادة، محاضرات في التداولية، (دراسة في الأصول والأقسام والمحاور والإشكالات النظرية والتطبيقية)، ط1، دار المثقف، باتنة، الجزائر، 2018.
- 3/ مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي)، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2005.

• الكتب المترجمة:

- آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد شيباني، ط1، المنظمة العربية للترجمة، نشر دار الطليعة، بيروت، 2003.